

سيمائية النضال في قصة (الشهداء يعودون هذا الاسبوع)**للكاتب الجزائري الطاهر وطار****م.د. مهدي راضي عبد السادة****الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية****1.muhamdi.edbs@uomustansiriyah.edu.iq****07706011562****مستخلص البحث:**

يمثل (الطاهر وطار) واحدة من أهم علامات السرد الجزائري والعربي، وقد أخذ على عاتقه مهمة تسليط الضوء على مناطق خطيرة في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية، وكان مخلصاً للفكر اليساري الذي اعتنقه، وبدا واضحاً في كتاباته. إن قصة (الشهداء يعودون هذا الاسبوع) واحدة من النتاجات السردية التي لا يمكن اغفالها في مسيرة الكاتب؛ لأنها عالجت موضوعاً مهماً يتعلق بانحراف الثورة عن أهدافها على يد المنتفعين منها والمتسلطين على رقاب الشعب. حين يتم التحليل على وفق جهود مدرسة باريس السيميائية، واعتماد (مربع كريماس) يتوضح أن القصة تمثل صراعاً بين ضدين من جهة، وبين نقضين من جهة أخرى، وقد نتج عن هذا الصراع بين النضال والاستسلام تحولاً دلالي يمكن رصده بصعود أحد الأطراف على حساب الآخر، والذي يمكن أن يوشّر هنا، هو أن الثورة لا يمكن أن تنتهي؛ بل يجب أن تظل مستمرة، لتعالج نفسها بنفسها باستمرار.

الكلمات المفتاحية: الأدب الجزائري- الطاهر وطار - المنهج السيميائي**المقدمة:**

إن تعدّد محاولات تحليل نصّ سردي واحد بأكثر من منهج نقدي، تؤدي من دون شك إلى نتيجة واحدة مفادها، أن هذا النص يحمل في طياته حياة متكاملة لها اشتراطاتها.. ولا يمكن للمبدع أن يحاصر القارئ كي ينظر إلى نصّه من زاوية واحدة فقط؛ فكأما تعددت هذه الزوايا تعددت الرؤى. لقد انتج السارد العربي كمّاً كبيراً من القصص والروايات، ومارس لعبة التجريب بمالها وما عليها، ولكن بقيت هنالك نصوص تآبى أن تترك مكانها في خريطة هذا السرد العربي لغيرها بسهولة، ولعلّ هذه القصة من هذا النوع. لقد عالجت القصة موضوعاً شائكاً وخطيراً ألقى بظلاله على حياتنا العربية؛ وذلك حين يترك أصحاب الخط الأول في الثورة والنضال والتضحية أماكنهم لأدعياء النضال؛ الذين لا همّ لهم سوى المكاسب والمغانم، فحين يستشهد الثوري المناضل، ويتقاعس المناضل الحي عن اكمال واجبه، ويظن أن مهمته قد انتهت، ستصاب أهداف الثورة والتضحية بالعطب، وكأنها لم تكن أصلاً. إن الجانب الاجرائي للمنهج السيميائي يجعل المشتغل به يشعر بالخطورة ازاءه؛ فهو يستلزم الاحاطة بالبنيتين السطحية والعميقة بشكل صحيح؛ لرصد التحولات الدلالية داخل النص، ومحاولة الامساك بها من دون تعنت.

الأدب الجزائري والاحتلال الفرنسي:

لا يمكن الحديث عن الأدب الجزائري الحديث بشكل عام، دون الاطلاع على أهم الروافد الثقافية، كالثقافة العربية والإسلامية، وكذلك الأمازيغية وما يحمله تاريخ الجزائر من تراث كبير ومتشعب، وكذلك المؤثرات التي كان لها دور بارز في إبراز مظاهر التفرد والابداع التي كانت السبب في ظهور أجيال من الأدباء والكتاب الذين مثلوا الأدب الجزائري خير تمثيل.

ولعلّ في مقدمة هذه المؤثرات (الاحتلال الفرنسي للجزائر) ، وهذا الاحتلال هو (محصلٌ منطقي لدوافع متداخلة، متراكمة تغور جذورها لتتصل بالحروب الصليبية، وترقى فروعا لتمس المصالح الاستعمارية)⁽¹⁾ ويبدو للمتتبع لأحداث القرن التاسع عشر الميلادي أنّ الانحطاط والتخلف الذي كان يسود البلاد العربية ، والضعف الذي قارب الانهيار للدولة العثمانية، فضلاً عن التطور الكبير الذي بلغته الدول الأوروبية صناعياً، واقتصادياً، وعسكرياً؛ كل ذلك كان كفيلاً بأن تقع البلدان العربية فريسة سهلة في مخالب الاستعمار الغربي؛ فكانت الجزائر من حصة الاستعمار الفرنسي. ولعلّ من المفارقات التي تدعو إلى السخرية أنّ فرنسا كانت مدينة بمبالغ مالية هائلة للجزائر في بدايات القرن التاسع عشر الميلادي قبل احتلالها⁽²⁾ . لقد خضعت الجزائر للاحتلال الفرنسي البغيض ابتداءً من العام 1830م، وأصبحت جزءاً من التراب الفرنسي بحسب ما ادعته القوانين الفرنسية؛ بعد حادثة (المروحة) الشهيرة بادعاء القنصل الفرنسي (دوفال) أنّ الداوي (حسين باشا) حاكم الجزائر قد ضربه على وجهه بمروحة كان يحملها بيده، بعد مشادة كلامية بينهما على إثر مطالبة الباي للقنصل بتسديد الديون التي للجزائر في ذمة فرنسا. وما كان من فرنسا سوى تحريك اسطولها وجيشها لمهاجمة الجزائر واحتلالها⁽³⁾ ، هذا الاحتلال الذي كان النتيجة الحتمية لبداية الكفاح والنضال الجزائري ضد المحتلين الأجانب؛ وقد ترتب على ذلك أنّ دفعت الجزائر بالتضحيات الجسيمة، وقوافل الشهداء؛ فضلاً عن عمليات السلب والنهب التي مارسها الفرنسيون بحق الجزائر والجزائريين.

لقد اتبع الفرنسيون سياسات استعمارية منحطة بعد احتلالهم للجزائر؛ فحاولوا أن يوقعوا أنواع الفتن بين أفراد الشعب الواحد بشتى الطرق، وحاولوا أن يسلبوا هذا البلد من محيطه الطبيعي الذي عاش فيه آلاف السنين، وعمدوا بشتى الوسائل إلى طمس الثقافة العربية والإسلامية التي تشكل الحاضنة الاجتماعية والدينية للشخصية الجزائرية، وتعدى ذلك إلى محاربة اللغة العربية ، ووصل الأمر إلى فتح بعض المدارس للجزائريين ، ولكنها كانت تتخذ من اللغة الفرنسية وسيلة للدراسة بدءاً من العام 1883م⁽⁴⁾ . لقد أصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية ولغة الثقافة والتعليم ، وكان لا بدّ أن ينتج عن ذلك ذوبان اللغة العربية بين أبنائها الناطقين بها إلى لغة المحتل التي أصبحت تشكل لغة البلاد التي لا غنى للمواطن الجزائري من التعامل بها. ومع كل ذلك التضييق والتنكيل بلغة أهل البلاد الأصلية؛ فإنّ ذلك لم يمنع بعض المخلصين من تحمّل المسؤولية للدفاع عن لغة الأجداد ولغة القرآن الكريم والمسلمين ؛ فتم تشييد ما يزيد عن (170) مدرسة تحت إشراف (جمعية العلماء المسلمين)⁽⁵⁾ ، وقد تخرج من هذه المدارس نخبة طيبة من أبناء وبنات الجزائر الذين كانوا يمثلون خطّ المواجهة مع لغة المحتلين وثقافتهم. لقد جاهدت هذه النخبة بما تملك من امكانيات متواضعة جهاداً مريراً في سبيل المحافظة على الشخصية العربية والإسلامية في الجزائر، وكان لها نتاجٌ أدبي يتناسب مع قلّة الامكانيات والدعم الذي كانت تحظى به، ولا يمكن أن يُطلب من هؤلاء أكثر مما قدّموا ؛ فهم كانوا في وضع لا يُحسدون عليه. لقد أقدمت فرنسا على تربية أجيال من الشعب الجزائري المنقطع عن تراثهم وهويتهم الثقافية ، وسهّلت لبعضهم المشاركة في الحياة الثقافية في فرنسا والجزائر؛ ليكونوا الانموذج الجزائري الذي يريده المحتل، فساهموا مساهمة كبيرة في الدفاع عن الخطاب الاستعماري الفرنسي سواء عن طريق بعض الصحف أو النتاج الأدبي بشتى أشكاله. وعلى الرغم من ذلك فقد كان لانتشار اللغة الفرنسية بين أبناء الجزائر أثر ايجابي ؛ تمثل في اطلاع الجزائريين على الأدب الأوروبي والعالمي؛ بل والفرنسي بشكل خاص؛ فهو يمثل حلقة مهمة في الآداب العالمية ، كما ساعدتهم ذلك على التواصل بشكل أكثر فعالية مع ما يجري حولهم في العالم، كما أنّ بعض الكتاب الجزائريين كانوا يكتبون باللغة الفرنسية، وحاولوا أن ينقلوا إلى القارئ الفرنسي ما كان يعانيه الشعب الجزائري على أيدي المحتلين، وكان الكثير من الكتاب الجزائريين يستعملون اللغة الفرنسية مكرهين⁽⁶⁾ . على أنّ

ظهر الكتاب الجزائريين بدأ يشكل ظاهرة واضحة بعد الحرب العالمية الأولى؛ بسبب تغيير فرنسا لبعض سياساتها، ومحاولة اصلاح صورتها أمام الرأي العام العالمي، وكنوع من الاعتراف بفضل الجزائريين الذين حارب منهم عشرات الآلاف مع الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، ومساعدتهم في استمرار دوران عجلة المصانع الفرنسية التي كانت بحاجة ماسة إلى اليد العاملة من الجزائر⁽⁷⁾. لقد كان من الضروري بعد أكثر من تسعين عاماً من احتلال الجزائر أن تظهر أعمال (أدبية باللغة الفرنسية لجزائريين كتبت على عجلٍ للمناسبة، ونشرت على عجلٍ أيضاً، بالرغم مما كانت تنطوي عليه من نقائص وعيوب)⁽⁸⁾، كما يمكن أن نشير إلى أن عدد هذه الأعمال ما بين 1920م-1930م كان قليلاً مقارنة بالمدة الطويلة التي خضعت فيها الجزائر لاحتلال الفرنسيين، ويعود ذلك بشكل كبير إلى فشل الاجراءات الفرنسية في ترويض الجزائريين وجعلهم مواطنين فرنسيين مثلما كانت ادعاءات المحتلين، وكذلك لا يمكن أن ننسى أن اللغة الفرنسية كانت تمثل المنفى الذي يعيش فيه بعض الأدباء الجزائريين⁽⁹⁾ بسبب القطيعة التي كانوا يعانون منها مع لغتهم الأم.

لقد حاول هؤلاء الكتاب أن يعالجوا بعض الموضوعات المهمة التي كانت حديث الساعة بين الجزائريين في ذلك الوقت.. مثل زواج بعض الفرنسيين من بعض الجزائريات، ومظاهر الاختلاط بين الرجال والنساء، والتحلل الاجتماعي من بعض العادات والتقاليد الاجتماعية؛ فضلاً عما يمثله الأدب من وجهة نظر للكاتب حين ينظر إلى بعض الموضوعات من زاوية مختلفة، وقد يتفق معه القارئ أو لا يتفق، ونستطيع القول ونحن مطمئنون إن الأدب الجزائري هو الأدب الأكثر اهتماماً من بين الآداب العربية بجرائم الاستعمار الذي جثم على صدور الجزائريين لأكثر من (130) سنة.. بل تعدى ذلك إلى معالجة آثار الاستعمار حتى بعد التحرر منه، ويمكن أن نرجع هذا السبب إلى طول مدة الاحتلال، فضلاً عن بشاعة الجرائم وأشكالها المختلفة التي طالت أبناء الجزائر، ويكفي أن نذكر مثلاً واحداً على سبيل المثال لا الحصر؛ وهي (جريمة الثامن من ماي 1945م) حين قُتل أكثر من (45) ألفاً من الجزائريين على أيدي الفرنسيين بدم بارد، وذلك بعد أن خرج الجزائريون بمظاهرات حالهم في ذلك حال بقية شعوب العالم للاحتفال بنهاية الحرب العالمية الثانية، والتي ساهمت فيها أعداد غفيرة من الجماهير، وتحولت تلك المظاهرات إلى رفع بعض الشعارات الوطنية؛ فما كان من الفرنسيين سوى قتل المتظاهرين بطريقة بشعة ووحشية؛ أدت إلى مقتل هذا العدد الكبير منهم، وتفننوا في القتل ما بين الرمي بالرصاص، أو حرق الجزائريين بالبنزين وهم أحياء، أو القاء بعضهم من الطائرات وهم أحياء أيضاً⁽¹⁰⁾. لقد أصبح من البديهي أن تسمى الجزائر بلد (المليون شهيد) أو بلد المليون ونصف شهيد، وهو عدد هائل إذا ما قيس بتعداد الشعب الجزائري، أو لنقل هو عدد كبير جداً من الممكن أن يدفعه شعب على وجه الأرض حتى ينال التحرر من المحتل، وقد اشتد بطش الفرنسيين بعد اعلان حرب التحرير عام 1954م واستمرت حتى العام 1962م بإعلان الاستقلال وخروج المحتلين. لقد سطرت الثورة الجزائرية أروع الملاحم والبطولات ضدّ الغزاة وأكدت أن الشعوب الحرة حين تنطلق للمطالبة بحريتها؛ فلا قوة عسكرية في العالم تستطيع الوقوف في وجهها، وتصبح حياة الثوار رخيصة أمام حلم التحرر والاستقلال من شبح الاستعمار، وتكون العمليات الفدائية من بديهيات العمل الثوري؛ حين يتقدم الشهيد نحو الموت، وهو موقن بأنه يضحي بنفسه من أجل هدف أكبر وهو الاستقلال وبناء الجزائر الحرة بعيداً عن أي سلطة غير سلطة الشعب نفسه. قد يبدو أن هذا الاستعراض للجانب التاريخي، والدخول في تفاصيل الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عليه.. بعيداً عن التحليل السيميائي؛ ولكنه يصب في صالح هذا التحليل، لأنه يسلط الضوء على مدى التضحيات الكبيرة والمخاض العسير الذي مرّ به المجتمع كي يخرج من واقع مأساوي.. وهذا يتطلب أن تحفظ حرمة الشهداء وتضحياتهم؛ لا أن يكون النضال سلعة تباع وتشترى من أجل مصالح ضيقة

لا يمكن أن تقاس بأي حال من الأحوال مع نضال شعب يتشبث بالحياة الحرة الكريمة؛ بل يمكن القول ان الشهداء لو قدر لهم أن يشاهدوا المستقبل، وما سوف تؤول إليه الأمور بعد استنشادهم، لأعادوا النظر من جديد في نضالهم، وفي المناضلين الذين كانوا يتقاسمون معهم الحياة والموت.

أدب البواكير الجزائري:

ليس خافياً أن الأدب العربي قد مرّ بتراتبية معروفة جعلت الشعر العربي أسبق ظهوراً من بقية أشكال الأدب، ولا تخرج الجزائر عن هذه القاعدة؛ فمن المعروف أن الجزائريين كانوا يكتبون الشعر سواء باللغة العربية الفصحى أو بلهجاتهم المحلية قبل دخول الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي، وكانوا يتناقلون حكايات التراث سواء ما كان منها خيالياً أو اسطورياً، أو ما كان يمثل تاريخهم البعيد أو القريب. لقد عرف الأدب العربي شيئاً من السرد عن طريق ما تناقلته الألسن والمدونات بعد ذلك عن أيام العرب وملاحمهم، وحين جاء العصر العباسي بأدبه المزدهر؛ عرفنا المقامات على يد بديع الزمان الهمداني والحريري، أو قصص (ألف ليلة وليلة) وما تركته من أثر واضح في إطلاق الخيال وتلمس مكامن الجمال في سرد القصص والحكايات.. لقد تعدى تأثير قصص ألف ليلة وليلة إلى الآداب الأوروبية بعد ترجمتها وأصبح أكثر القراء لها في أوروبا ينظرون إلى الشرق على أنه مكن الخيال والسحر، غير إن ذلك مع ما له من أثر واضح سواء في الأدب العربي عموماً أو الجزائري خصوصاً، فأنه لم يكن هو العامل الأهم في نشأة القصة والرواية في الوطن العربي، وإنما كان الأثر (الغربي) هو صاحب اليد الطولى في نشأة هذا الفن الجديد الذي وفد على أدبنا العربي بسبب ترجمة القصص والروايات الغربية إلى اللغة العربية، فبدأت تظهر أولى المحاولات العربية في السرد العربي، وسرعان ما تجاوز الكتاب العرب مرحلة البواكير الأولى المتواضعة في الكتابة؛ كي يتناولوا جميع جوانب الحياة (ولم تعد وظيفة الفن منحصرة في ترديد خطاب سياسي/ إيديولوجي بقدر ما أصبحت أيضاً فرصة لتمثيل (الأنما) مع الآخرين، فرصة لفهم العالم والمشاركة في تغييره، ولكن دون تغيب بعده الجمالي السحري، لأنه لا يتمكن من تلك الغاية إلا بفضل جماله وسحره) (11).

وهناك مسألة يجب الوقوف عندها، وهي أن الجزائريين كانوا على صلة كبيرة بالأدب الأوروبي بشكل عام و الفرنسي بشكل خاص منذ القرن التاسع عشر، و لذلك يذهب بعض دارسي الأدب الجزائري إلى أسبقية الجزائر على مصر في ذلك الأمر حين يقفون (عند بعض الأدباء الرواد مثل محمد بن ابراهيم الذي أنجز روايته الفريدة (اي ما عثر عليه حتى الان) وهي ((حكاية العشاق)) والتي تعتبر أول عمل روائي لا على المستوى الجزائري فحسب، بل وعلى المستوى العربي نظراً للتأريخ الذي كتبت فيه، والتي سبقت رواية زينب لهيكل بـ 66 سنة (12)، وهذا يعني أنها أسبق من رواية (زينب) للكاتب المصري محمد حسين هيكل التي صدرت عام 1914، والتي يعدّها دارسو الأدب العربي أول رواية عربية صدرت في الأدب الحديث.. مع اعترافنا بأن السبق الزمني لا يكفي ليكون دليلاً على الصدارة الإبداعية في مجال من مجالات الأدب فالظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لها دور كبير في الاستمرارية والنضوج، وقد عانت الجزائر في هذه المجالات جميعاً أكثر من غيرها من البلدان العربية - كما ذكرنا سابقاً يعدّ الكاتب (أحمد رضا حوحو) علامة مهمة في السرد الجزائري ابتداءً من روايته (أم القرى) التي كتبها في الأربعينيات من القرن الماضي (13)، أمّا (عبد الحميد بن هدوقة) فإن (أغلب النقاد يجمعون على أنه كان من أوائل المؤسسين للرواية العربية في الجزائر بروايته (ريح الجنوب) (14). ولا يمكن التغاضي عن حقيقة مهمة مفادها أن السرد العربي لم يصل إلى النضج الفني إلا عند منتصف القرن العشرين (عندما برزت سمات الوعي القومي متماسكة النظرة وشاملة الرؤية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وعند تلك المرحلة أيضاً كان الوعي بالرواية يقترب بوعي أدق بالفئات الاجتماعية النشطة، وبمعنى النزوع المدني

والعلاقات الحضارية⁽¹⁵⁾. إن الكتابة ليست ترفاً، ولا هي حاجة كمالية يمكن للإنسان أن يستغني عنها متى شاء؛ بل هي ضرورة من ضرورات الحياة للتعبير عن الهوية والانتماء ووسيلة للتواصل مع الآخر سواء "المختلف" أو "المؤتلف"، وهي إبراز للجمال في شتى مجالات الحياة، ولذلك نجد أن الكتاب المتميزين هم الذين يناقشون القضايا الإنسانية ويسلطون الضوء على زوايا أخرى قد لا ينتبه إليها الآخرون، وهذه القضايا تكون نابعة من رحم المحليّة، ولكنها تحمل بعداً إنسانياً يمكن أن يشعر به القارئ في شتى بقاع الأرض على اختلاف لونه ولغته، وربما يكون هذا هو السر، ومفتاح النجاح لأهم الأعمال الأدبية العالمية، ولذلك نجد أن شكسبير - على سبيل المثال - قد نجح على صعيد العالم بأجمعه لأنه حاول الغوص في مجاهل النفس الإنسانية المعقدة كي يستخرج تلك الدرر الابداعية، التي أصبحت من كلاسيكيات الأدب العالمي. لقد احتلت الكتابات السردية مكان الصدارة بدلاً من الشعر في العقود الأخيرة وهذا الأمر ينطبق على الآداب الغربية سابقاً، والعربية لاحقاً حتى سُمي عصرنا بـ (عصر الرواية). لقد برز اسم الكاتب الجزائري (الطاهر وطار) سواء على مستوى بلده الجزائر أو بقية البلدان العربية بشكل لافت للنظر، واحتل مكاناً مرموقاً على خريطة السرد العربي، فقد مارس كتابة المقالات وأسس عدداً من الصحف، كما مارس كتابة القصة والمسرحية والرواية، وكأنه يريد أن يمسك بزمام الأدب من جميع أطرافه؛ بل يمكن القول إنه قد أكد أحقية الجزائر في أن تكون واحدة من أخصب بقاع السرد على المستوى العربي، وأثبت أحقية الجزائريين في أن تكون لهم بصماتهم الواضحة في عالم القصة والرواية العربية، وأنهم قد تجاوزوا مرحلة (الفرنسة) التي خضع لها هذا البلد العربي بسبب المحتل الفرنسي، وأصبحوا يزاحمون المشاركة، إن لم يتقدموا عليهم في كثير من الأحيان.

الطاهر وطار والريادة الموضوعية:

لقد عاصر الطاهر وطار (1963-2010) الاحتلال الفرنسي، وكان شاهداً على الكثير من جرائمه، وساهم بقدر ما يستطيع في تأييد حرب التحرير (1954-1962) التي خاضتها الجزائر ضد المحتلين الفرنسيين، كما أنه كان واحداً من المثقفين الذين جمعوا بين الاطلاع على الثقافة الغربية، والثقافة العربية والإسلامية، وحاول أن يبرز هذه الثقافة من خلال كتاباته وكان من نتيجة ذلك؛ أن أسهمه في السرد الجزائري كان علامة مميزة فهو (أبو الرواية) الجزائرية كما أطلق عليه بعض الباحثين⁽¹⁶⁾، والحق أن هذه التسمية لم تأت من فراغ؛ فالرجل قد اختط لنفسه خطاً ميّزه عن غيره، إذ عالجت كتاباته (قضايا المجتمع من خلال شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها، وتتفرع تجاربها وتتصادم أهواؤها ومواقفها، وقد حاول هذا الكاتب أن يطرح جملة من الإشكالات المتعلقة بالواقع النفسي والفكري والاجتماعي، بواسطة شخصياته الروائية)⁽¹⁷⁾؛ إذن فهذا الكاتب يريد أن يضع أصبعه بشكل مباشر على مشاكل الناس التي كانت هي الأساس الذي ينطلق منه عند الكتابة، وربما يكون اتجاهه الفكري (اليساري) هو الذي يدفعه إلى ذلك حين يكون الأدب موجّهاً إلى معالجة قضايا الإنسان، وليس الأدب للأدب فقط، ولذلك فإنه (كاتب فكرة بالدرجة الأولى، وهو إن كتب قصته فإنما يعبر عن موقف فكري يشغل باله منذ زمن)⁽¹⁸⁾. لقد مثلت قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) انعطافة مهمة في التاريخ السردى للكاتب؛ كونها قد عالجت موضوعاً إنسانياً يشعر به جميع من عاشوا مرحلة ما بعد الاستقلال في الجزائر ولكنهم يقفون عاجزين عن التعبير عنه، ولذلك نجد أن الطاهر وطار قد اتخذ من هذا الموضوع وسيلة للتعبير عن واقع لم يكن يوماً يخطر في بال الجزائريين الذين كانوا يضحون بالغالي والنفيس؛ كي يتحرر بلدهم ويعيشوا فيه متساوين متحابين بعيدين عن الاستغلال السياسي لمرحلة حرب التحرير، إذ من المعروف أن البلاد التي تتحرر من الاحتلال على يد المناضلين والثوار، فإن الوضع الطبيعي أن يتصدى هؤلاء بأنفسهم لإدارة البلاد سياسياً و يتقدمون على غيرهم

في المناصب الحكومية، وهم الأولى من غيرهم في مواصلة الكفاح من أجل البناء و التنمية التي كانت الجزائر بأمس الحاجة إليها، ولكن الذي يحدث في أكثر الأحيان إن لم يكن جميعها أن بعض الانتهازيين يكونون هم الذين ينعمون بمغانم السلطة على حساب الشهداء والمناضلين الحقيقيين الذين بذلوا دماءهم رخيصة من أجل التحرر. وهنا يمكن أن يطرح السؤال الخطير: ماذا لو أن الشهداء يعودون مرة أخرى إلى الحياة، فيجدون الانتهازيين يتاجرون بدمايتهم وتضحياتهم وهؤلاء لم يكونوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه لولا تلك التضحيات من قوافل الشهداء الذين كانوا يحلمون بحياة حرة كريمة في ظل نظام وطني يقوده أبناء الجزائر. لقد أصبح من البديهي عند الاطلاع على تاريخ الثورات في العالم، أن تكون مبادئ الثورة (كفكرة) في رؤوس الثوار عند انطلاقها مختلفة اختلافاً كبيراً جداً عما يكون عليه الأمر بعد انتصارها، وقد يبرر أصحاب السلطة بأن ما بعد الثورة لا يشبه ما قبلها، إذ إن السياسة لها قوانينها، ولا يمكن أن تدار الحكومات عن طريق الحماسة الثورية.. أو أن يعيش السلطويون في وهم وجود المؤامرات المستمرة عليهم، فيفتحون باب الصدام مع الجماهير، ويكونون في واد بعيد عن شعبهم الذي يراهم اعداءً له، ويتحين الفرصة للانقضاض عليهم في أقرب وقت، أو أن مغانم السلطة تعمي أعينهم عن النظر إلى الواقع بشكل صحيح ليعالجوا مشاكل الامة... ومهما كانت الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف بعد زمن الثورة بقليل أو بكثير فإن الضحية بالدرجة الأولى هم الشهداء الذين قدّموا أرواحهم لكي يروا أبناءهم ومن يأتي بعدهم من الأجيال يعيشون في ظل تلك التضحيات حياة كريمة تحفظ تضحياتهم في عوائلهم. لقد جاءت قصة (الشهداء يعودون هذا الاسبوع) ضمن مجموعة قصصية بهذا الاسم، وضمت معها قصصاً أخرى هي (رقصات الأسى، والزنجية والضابط، والحوث لا يأكل، واشتراكي حتى الموت، وزوجة الشاعر، والرسام الكبير والشاعرة الناشئة)⁽¹⁹⁾، وكانت آخر قصص هذه المجموعة وأطولها، وسميت المجموعة باسمها، وتدور أحداث القصة حول (العابد بن مسعود الشاوي) وهو والد الشهيد (مصطفى) الذي هو أحد شهداء حرب التحرير ضد الفرنسيين، وقد تسلم رسالة من مركز البريد، والتي جاءت من بلد بعيد؛ من ولده الشهيد (مصطفى) تحديداً؛ تخبره بعودته مع جميع الشهداء في ظرف اسبوع واحد، فيبدأ المسير والصعود نحو قريته؛ ليخبر كل من يراه بهذا الخبر، ولا يمكن اغفال اشارة الصعود إلى القرية من دون أن نفهم أن الرجل كان في حالة من الانكسار والانحدار في حياته، ثم تأتي الرسالة؛ فتغير حاله إلى الارتقاء باسم الشهداء؛ فيذهب إلى حانة (قدور) زميل ابنه (مصطفى) أيام الثورة، ويطلب منه أن يقص عليه حادثة استشهاد ابنه؛ فيعيد عليه سرد القصة التي تبدو غريبة وفيها عدة حلقات مفقودة.. إذ كيف يمكن لـ (قدور) أن يدفن مصطفى بعد أن وضع قدميه على لغم أرضي بالقرب من أحد معسكرات الفرنسيين، وكيف نجى (قدور) من حقل الألغام؟ وكيف تسنى له أن يقوم بدفن مصطفى بالقرب من موقع العدو؟ وكيف لم يهرع الفرنسيون إلى موقع الانفجار القريب من معسكرهم؟ ومن هنا تبدأ الاسئلة في رأس (العابد) وقرأء القصة عن الدور الذي لعبه (قدور) في هذه القضية، وكأنه يتهمه بقتله، أو ارتباطه بالمحتل، أو أنه كان جباناً ولم ينفذ ما يتطلبه العمل الثوري، ثم يذهب بعد ذلك إلى الجهات المسؤولة داخل القرية والتي تمثل الدولة، ويخبرهم بقرب عودة الشهداء فيبدأ كل واحد منهم بوضع عقبات عديدة أمام عودتهم؛ فهم - أي الشهداء - بحاجة إلى تقديم وثائق تثبت حياتهم، وفي حال عودتهم فإن جميع الامتيازات التي حصلت عليها عوائلهم سترفع، وتعود الى خزينة الدولة.. ثم يجتمع ذوو الحل والعقد للتصدي لحركة التشويش التي يقوم بها (العابد) والتي تعني بحسب زعمهم عصياناً مسلحاً يشترك فيه مليون ونصف من الشهداء؛ فيما لو عادوا ويجب أن يتم اللقاء القبض على (العابد) وكشف كل التفاصيل للسلطات العليا قبل أن يفلت زمام الامور، وفي وسط هذه الأحداث المتسارعة، يأتي الخبر بأن (العابد) قد مات بعد أن القى بنفسه أمام القطار - كما يدعون -

وجتته على السكة والرسالة الى جانبه⁽²⁰⁾، وهو حين يموت لا بد أن يموت على (السكة) التي تمثل طريق الشهداء. يمكن أن توصف هذه القصة بأنها قصة وجع وأسى، بل هي بمثابة صرخة عالية ومدوية في وجه كل من انحرف عن الثورة، وعن أهدافها أو استأثر بمغانم السلطة على حساب الفقراء، ولعل الفكرة الخطيرة التي تحملها القصة، هي التي تفتح شهية القارئ كي يسير معها دون توقف؛ حتى يكتشف الكيفية التي ستصل إليها النهاية، وكيف سيتعامل المجتمع الذي قدم التضحيات مع فكرة عودة الشهداء.. إن (قيمة القصة تكمن في الفكرة التي تعبر عنها أكثر ما تكمن في فنياتها، إذ إن تجوال أبي الشهيد في القرية كلها وهو يحمل رسالة يزعم أن ابنه الشهيد كتبها إليه، وسؤال جميع الأطراف عن سلوكهم أمام عودة الشهداء في الاسبوع القادم، أمر قد لا تدعو إليه الضرورة الفنية، فقد يكفي أن يعبر القاص عن فكرته من خلال حوار هادف مع شخصية محورية مسؤولة قادرة على تمثيل الموقف العام للنظام)⁽²¹⁾، والحقيقة أن هذا الكلام لا يمكن أن يؤخذ على اطلاقه فإن الطاهر وطار قد عالج القصة بشكل ناجح؛ بدليل ذبوعها وانتشارها والاعجاب الكبير الذي نالته وتم تحويلها إلى مسرحية في عدد من البلدان مثل الجزائر والعراق بعد صدورها. إن القصة وصفية فيما لو أردنا عرض مواقف مختلف المؤسسات والمسؤولين من عودة الشهداء، إن وطاراً يعلم أن الشهداء لن يعودوا أبداً، ولكنه يريد مع ذلك أن يختبر مدى إخلاص الحزب والجيش والنقابة ومسؤولي البلدية والمجاهدين لهؤلاء الشهداء)⁽²²⁾. إن الأساس الذي بدأ منه الطاهر وطار (انطلاقه من فهم المجتمع من منظور الصراع الطبقي، وعليه يترتب اتخاذ موقف من هذا الصراع، إذ لا يمكن للفنان والأديب أن يكتفي بالمشاهدة والوصف، بل لا بد له من أن يتخذ موقفاً من الواقع ومن الحياة، أي من الصراع الدائر في المجتمع)⁽²³⁾، ومن الواضح أن الأدب عموماً وعالم السرد خصوصاً بحاجة ماسة إلى صراع يتنامى ويتطور؛ لكي يعطي قيمة فنية وجمالية وفكرية لهذا العمل، إذ لا يمكن أن يكون السكون والركود منطلقاً لأي عمل إبداعي حقيقي. ومن المعلوم أن صراع الطبقات يعود في أصوله إلى الفكر الماركسي، والذي كان يتبناه الطاهر وطار، وكان له الأثر الواضح في كتاباته⁽²⁴⁾.

السيمائية والنص المخاتل:

إن المقاربة السيميائية تفرض على الدراسة عدم اغفال العتبة النصية الأولى، وهي عتبة (العنوان) التي جاءت بصيغة الإخبار؛ أي أن عودة الشهداء حتمية خلال أسبوع، وهي تقض منذ البداية العلاقة القائمة بين الشهداء (الأحياء) وبين الأحياء (الأموات)، فهؤلاء قد ماتوا معنوياً وهم على قيد الحياة؛ لأنهم تخلوا عن قدسية الشهادة، ولا يمكن التغافل عن هذه المفارقة الصارخة، فالشهداء حين ضحوا بأنفسهم من أجل الاستقلال؛ لم تكن تضحياتهم للتخلص من المحتل فقط، وإنما تسير هذه التضحية في خط متوازٍ مع الحياة الحرة الكريمة التي يعيشها المواطن، ونجد أن السارد يلجأ إلى الفانتازيا ومخادعة الواقع منذ بداية القصة بافتراض مستحيل الحدث، كعودة الشهداء إلى الحياة من جديد، ولذلك ينبغي على العنوان - كما يقول (إمبرتو إيكو) (أن يشوش الأفكار لا أن يوحدّها)⁽²⁵⁾.

كما أن الجانب السيميائي في اختيار أسماء شخصيات القصة كان لافتاً للنظر ابتداءً من الشخصية الرئيسية والمحورية في القصة والد الشهيد (العابد بن مسعود الشاوي)؛ فعند تحليل الاسم الثلاثي - دلاليًا نجد أن الاسم الأول (العابد) ينطلق من بعدٍ ديني على الشخص كثير العبادة، وهذا الجانب الدلالي لا بد أن يكون واضحاً عند اختيار الاسم؛ بدليل أن الكاتب قد أرفقه بعد ذلك بـ (مسعود)، فالعابد يكون مسعوداً من الله تعالى جزاءً له عن عبادته. أما اسم الجد (الشاوي) فهو يمثل - دلاليًا - محور الرفض والمعارضة للانحراف وكأنه (يشوي) المنحرفين عن طريق تذكيرهم بانحرافهم عن خط الثورة، وهو بمثابة الضمير الحي الذي يرفع صوته دائماً بوجه النفس الأمارة بالسوء.

أما إذا انتقلنا دلاليًا إلى اسم ولده الشهيد (مصطفى) فإنه يوحى بأنه قد اصطفاه الله تعالى واختاره ليكون شهيداً.. وفي المقابل يكون (قدور) ممثلاً للقدرة على التلون، فهو قادرٌ على أن يكون مع المجاهدين، ولكنه بسبب جبنه يتخلف عنهم دائماً للمحافظة على حياته بعيداً عن الموت، كي يحظى بغنائم الشهداء، وأما (سي المانع) منسق القسمة، فهو الخائن الذي وشى بـ (مصطفى) للعدو ونصبوا له كميناً في منزله لمدة شهر، ولكنه لم يحضر وعلم مصطفى بخيانتته، وهدده بالموت عن قريب، غير أن الأجل لم يمهلّه واستشهد بعد شهر واحدٍ من ذلك⁽²⁶⁾. ومن هنا يمكن أن نسير دلاليًا مع اسم (السيد المانع) الذي يحاول منع عودة الشهداء بأي شكل من الأشكال. وهكذا نجد أن متابعة الأسماء دلاليًا تحيلنا إلى حقيقة واضحة هي العناية الفائقة باختيار الأسماء واكتسابها بعداً سيميائياً جلياً يتماهى مع فكرة القصة، والانسجام مع الدلالات الفنية التي يتوخاها الكاتب، وهو في الوقت نفسه ما يتماشى مع رأي الكاتب الذي يصرح به دائماً (إنّ المثقف مناضلٌ ملتزمٌ بقضايا الجماهير بالدرجة الأولى)⁽²⁷⁾، وهذه النماذج من الأسماء تكفي للدلالة على الاختيار الواعي لها من القاص، كي يحملها ثقلاً معنوياً وفنياً يصدق في مسامع القراء، وكأنه لا يترك شيئاً للمصادفة؛ بل يوظف كلّ أداة من أدوات السرد ليوصل المعنى الذي يريده، ويمكن القول إنّه (ما من نص أدبي إلا ويعبر بالمجازات، أو الدلالات اللاحائية، تلك الدلالات الثانية التي يوحى بها المعنى المباشر، لكننا لا نثق بها، لما تولده فينا من شكوكٍ حول ما يخبئه الكاتب في ثنايا نصّه)⁽²⁸⁾. ومن المعلوم أنّ (الذوات) تتحدد (في وجودها السيميائي من خلال خصائصها (نعوت، محولات) بالفعل، ولا يمكن الاعتراف بها كذوات إلا في حال تعالقها مع موضوعات القيمة وتشارك في مختلف العوالم القيمية)⁽²⁹⁾. حين يلجأ الكاتب إلى ترميز عمله والافادة من العلامات الدالة بداخله، فإنه يعلن من طرف آخر تبرّمه من الوضوح والانكشاف والتعري الذي يعانیه أمام القارئ؛ فلا (تقوم الوظيفة الرمزية إذن على المستوى نفسه الذي تقوم عليه مختلف طبقات العلامة التي تستطيع أن يفرزها ويفصلها علم عام للعلامات، هو العلاماتية. ولا تمثل العلاماتية طبقة أو جنساً، ولكنها تمثل شرطاً لإمكانية وما هو موضع شك هنا، هو معرفة الانسان نفسها بنظام العلامات)⁽³⁰⁾. إنّ تعدد احتمالات الفهم التي يقدمها النص تشير وبما لا يقبل الشك إلى امكانية ابداعية كبيرة يتضمنها النص، إذ كلما تعددت زوايا النظر إلى النص، يمكن اكتشاف ثيمات اخرى مختلفة (فإذا كانت (الواقعة النصية) الواحدة قابلة لأن تدرج ضمن أنساق متنوعة وقابلة للقراءة وفقاً لسنن متعددة، فإن التأويل لا يأتي هذه الوقائع من خارجها، إنّه يتخللها ويتعقب أنماط وجودها ويطاردها ليمسك بالبؤر التي تلوذ بها)⁽³¹⁾. إنّ عملية الاتصال بين الذوات داخل العمل السردية تتنوع بحسب الاحداث التي يقوم الكاتب باختيارها حيث (يقوم رهان هذه المواجهات- ولا يهم كثيراً إذا كانت عنيفة أو سلمية- على موضوعات قيمة مستهدفة من الجهتين، ونتائجها تُختزل في نقلات للموضوعات من ذات إلى اخرى)⁽³²⁾، وتقرض عليها المقاربة السيميائية الاقتراب من تحليل الفواعل، أو الذوات في حالتي التناقض أو التضاد وما ينتج عن ذلك من علاقات اقتضاء أو تكامل، وهو ما يطلق عليه المربع السيميائي الذي وضعه (كريماس)⁽³³⁾، والذي يمكن ان يؤسّر هنا هو علاقة التضاد بين الوطنية والخيانة والنضال والاستسلام، ومتابعة دلالة النضال وكيف يمكن أن تتغير من حالة وطنية تقوم على مكافحة الاحتلال الفرنسي كمرحلة أولى، والانتقال بعد ذلك إلى معالجة مخلفات الاحتلال بعد استقلال الجزائر، وبناء البلد على أسس صحيحة، غير أنّ ذلك لم يحدث كما كان في أذهان المناضلين والثوار، وهذا يقتضي (وجود ذات تضطلع بمهمة الفعل لضمان التحول من حالة إلى اخرى والانتقال من الكفاية إلى الانجاز)⁽³⁴⁾. ويمكن أن يتمّ توضيح علاقة مقولات البنية العاملة بهذا الشكل⁽³⁵⁾:

المساعد=المعيق

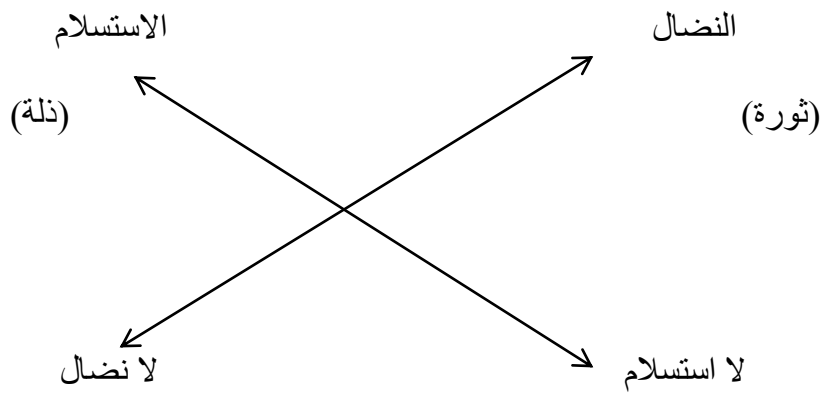
المرسل=المرسل اليه

الذات=الموضوع

ولذلك فإنَّ وصف الشخصيات بحسب - كريماس - لا يتم تشخيصه بما هي عليه، وإنَّما يتم نظراً لما تعمله وتقوم به (و هذا هو سبب وسمها بالعوامل) ⁽³⁶⁾. وهذا يعني أنَّ هذه النظرية تقوم على الدينامية، والتفاعل والصراع.. بما تعنيه من حركة وأعمال وأفعال.. وهذا شيء لا غرابة فيه، لأنَّه (استقى أسس نظريته من تحليل الحكايات الشعبية والاسطورية) ⁽³⁷⁾ والذي اعتمد بدوره على ما افترضه (فلاديمير بروب) من وظائف تسيطر على هذه الحكايات الشعبية (ومن اللافت في الدراسات النقدية العربية أنَّ اعتماد النقاد في الممارسة الاجرائية السيميائية الباريسية كان في معظمه مرتكزاً على مربع (غريماس)، ومفهومه للبنية العميقة والبنية المحايثة للسرد، وهذا لا يعود إلى تقصير..... بل يعود لنجاعة هذا المربع في قراءة السرد العربي القديم والحديث، إضافة إلى امكانية تطبيقه) ⁽³⁸⁾.

لقد أكدت قصة (الشهداء يعودون هذا الأسبوع) على اقامة علاقة من التوتر والصراع ما بين جهتين يمثل الشهداء الوجه الأول فيها، وبين أصحاب السلطة والمنفعين منهم الذين وهم يمثلون الوجه الآخر.. وتنتقل شرارة المواجهة بداية من الشهداء بعد ورود رسالة من أحدهم إلى والده يخبره فيها بعودته مع بقية الشهداء في ظرف أسبوع، فضلاً عن التواصل بين الشهيد ووالده عن طريق عالم الرؤيا في المنام، وهذا يؤشر حقيقة واضحة هي ان هؤلاء الشهداء ليسوا غائبين عن الواقع السيئ الذي وصلت إليه الأوضاع في شتى جوانبها؛ بل شهود على ما يحدث، وما الذي يُرتجى ممن يملك زمام الأمور وهم ما بين جبان وخائن او ابن خائن ومتعاون مع المحتل، ويتعدى الأمر إلى نظرة موحدة يشترك فيها الجميع تتلخص بأنَّهم كلهم لا يريدون عودة الشهداء، فالمتسلطون سيفقدون مناصبهم وامتيازاتهم.. وحتى عوائل الشهداء يرفضون هذه العودة فهم سيفقدون امتيازات خاصة حصلوا عليها بسبب أبنائهم أو اخوانهم أو آبائهم من الشهداء، وكيف سيكون حال شقيق الشهيد مصطفى الذي تزوج أرملته أخيه الشهيد بعد استشهاده وأنجب منها أطفالاً، وكم من المشاكل سوف تبدأ من دون معرفة كيفية نهايتها، إذن فالفاعل (الذات) الذي يبدأ منه (الفعل) ويحرك المشهد الجامد هو الشهيد.. أمَّا الاحياء- بغض النظر عن توصيفاتهم، فهم من يصدر منهم (رد الفعل)، وبما أنَّ الطاهر وطار قد أخذ على عاتقه القيام بمهمة السارد، فقد أجاز لنفسه التحدُّث عن طريق (المنولوج الداخلي) بكل ما يريد؛ كي يثبت حقيقة الموقف الصارخ الذي يريد أن يعلن عنه من خلال القصة، فالأمر لا يتعلق بالخونة أو أصحاب السلطة فقط؛ وإنَّما يشمل المناضلين الحقيقيين الذين تقاعسوا عن أداء واجباتهم تجاه ادارة بلدهم بالشكل الصحيح، ولذلك أصبحوا بالصدِّ من الشهداء أيضاً، وكأنَّهم قد أدوا الجزء الأول من النضال ضدَّ المحتل ونجحوا فيه، ولكنهم يخفقون في الجزء الثاني الذي لا يقلُّ خطورة عن الكفاح المسلح والتضحية بالنفس؛ ولذلك فإنَّ النضال يجب ان يظلَّ مستمراً (والثورة متواصلة في شكل جديد، ولن تنتهي هذه الثورة إلا باختفاء جميع الفوارق واشكال التعسف الاجتماعي، و ربَّما أنَّ هذه الفوارق والتعسفات لن تختفي؛ إلا لتترك مكانها لفوارق وتعسفات اخرى، فان الثورة مستمرة إلى الأبد) ⁽³⁹⁾، والذي يبدو واضحاً للقارئ أنَّ السارد يلجأ إلى الاسترجاع الداخلي زمنياً، فهو يعود مع كلِّ شخصية من شخصيات القصة إلى الماضي ليسلط الضوء على ماضيها، وهو لا يتوانى عن التذكير بالماضي في عملية تشبه إلى حدِّ ما التلاعب بالزمن الذي ينطلق فيه الحدث وهو ليس ماضياً هيناً.. هو الماضي الذي رُسم بالدم والتضحية (و ليس هناك أنفع من الماضي لإدانة الحاضر الموبوء، إنَّه شاهدٌ على حاضر منحرف) ⁽⁴⁰⁾، والشيء الواضح للعيان هو أنَّ الحاضر لم يكن؛ لولا ذلك الماضي الذي (يحضر في النص بوصفه مفسراً أيضاً يضيئ مواقف الشخصيات ويعلل لها) ⁽⁴¹⁾، ومن الواضح لمن يتابع الأدب الجزائري أنَّ كثيراً من الكتاب (عندما يصف هذه النماذج الاجتماعية كثيراً ما يتجاوز هذا الوصف إلى نقد أوضاع معينة، بل قد يؤدي به الالتزام إلى أن يتناول مصالح ومنظمات وطنية عليا بهذا النقد) ⁽⁴²⁾، وهذه النزعة النقدية الحادة كانت

وبالاً على الطاهر وطار في كثير من الأحيان، فهو يرى أن (الكاتب يحتلّ وضعاً وسطاً بين الشعب الشاعر والجيش الحاكم) ⁽⁴³⁾.
إنّ المرجع السيميائي يسلط الضوء على البنية العميقة التي تختفي تحت البنية السطحية، وهاتان البنيتان يمكن أن نشبههما بالجسد والعقل فإنّ الحركات التي يقوم بها الجسد هي التي تبدو للعين، ولكن المحرك لها هو العقل، وهو صاحب القرار بجميع حركات هذا الجسد، فالذي يبدو للقارئ هو الشخصيات و الاحداث التي يقدمها السارد وهذا البناء السردى يحجب خلفه معاني مجردة، وهي التي يجب على المتلقي أن يصل إليها ولتوضيح ذلك يمكن التمثيل بهذا المربع السيميائي:



النضال $\neq$ الاستسلام = تضاد

لا استسلام $\neq$ لا نضال = تضاد

النضال $\neq$ لا نضال = تناقض

الاستسلام $\neq$ لا استسلام = تناقض

النضال + لا استسلام = تكامل (ثورة)

الاستسلام + لا نضال = تسافل (ذلة)

(ولا يتمثل الهدف في اعطاء أو استظهار "رسالة" (مضمون) النص، بل في توضيح الظروف الخاصة التي تكون فيها الرسالة ممكنة، وبالتالي وصف الشفرة (اللغة) التي تحكم الرسالة (الخطاب)) ⁽⁴⁴⁾، ولذلك فأنه من المهم جداً أن تبرز حقيقة مفادها أن السيميائية لا تسعى إلى الإجابة عما قاله النص، وإنما عن الكيفية التي قال بها.. أي أنها تبحث عن الآليات التي أوصلت مقول القول. كما لا بدّ من الاعتراف لكل من يطّلع على تاريخ الجزائر ما بعد الاحتلال.. أنّ الطاهر وطار كان صاحب (رؤيا) تستبقي الاحداث، وتستشرف المستقبل بشكل واضح، إذ سرعان ما أغار المناضلون بعضهم على بعض بعد الاستقلال، وحدثت تغييرات مهمة في قمة هرم السلطة ووصل الأمر الى إيداعهم في السجون عام (1965)، ثم كانت أحداث نهاية الثمانينيات وعقد التسعينات الدامية التي أشرّت وجود شرخ اجتماعي عميق لم تستطع الثورة معالجته، وظل يتطور شيئاً فشيئاً حتى كاد يوصل البلاد إلى مراحل خطيرة جداً. وهذا مما يعزز (أنّ رؤية المثقف- كما تنبثق من بنية الخطاب الروائي- تطغى على جدلية الواقع، حيث تقيض الذات لتطغى على الموضوع، ويصبح هذا الاحلال المتعدد المستويات والوحيد النموذج هو مجلى الوعي الممكن بحركة الزمن) ⁽⁴⁵⁾.

لقد عمد السارد الى زيادة سرعة إيقاع الأحداث، وكأنها مشاهد سينمائية متسارعة تتعاضد فيما بينها؛ كي يصل إلى المشهد الأخير الذي كان أقرب إلى مشهد في نهاية أحد الافلام، وهو حينما ألقى (الشيخ العابد) بنفسه أمام القطار بحسب قول سائقه.. إن إنهاء والد الشهيد لحياته عن طريق الانتحار هي رسالة اخرى يرسلها لمجتمع اللاهثين وراء المكاسب الثورية الزائفة. إنَّ عالم القرية لا يمكن أن يتسع كي يضم الشيء وضده أو الشيء ونقيضه، إذ على الرغم من أنه أوصل الرسالة التي تفيد بعودة الشهداء في ظرف اسبوع، غير أنَّ هذه العودة لن تكون سهلة، فهي سوف تزلزل المجتمع ولا تبقى حجراً على حجر، ولذلك فانه يلقي بنفسه أمام القطار أو (الزمن) الذي لا يمكن أن يعود إلى الوراء ويمسح عدة سنوات غيرت النفوس والأحوال، هل استسلم (الشيخ العابد)؟ وهل وصل إلى لحظة اليأس من اصلاح الامور وتمهيد الطريق لعودة الشهداء؟، يبدو أنَّ الطَّاهر وطَّار قد وصل إلى هذه القناعة فرسم هذه النهاية المأساوية.

الخاتمة:

- كانت معاناة الجزائريين من الاحتلال الفرنسي كبيرة جداً، وتركت آثاراً واضحة في الشخصية الجزائرية من جوانب عديدة.
- لاقى الأدب الجزائري من الاحتلال جوانب سلبية عديدة، وكذلك لاقى جوانب إيجابية اخرى تمثلت في التواصل مع الأدب الفرنسي بشكل مباشر عن طريق اللغة الفرنسية، وليس عن طريق الترجمة، مما شكل تواصلاً حياً مع الأدب العالمي .
- مثل الطَّاهر وطَّار حلقة وصل مهمة بين الجيل السابق من كتَّاب الجزائر، وبين الجيل اللاحق، وكان بمثابة الأب الشرعي للسرد الجزائري.
- يميل الكاتب إلى مراعاة الجانب الموضوعي لإيصال الفكرة بسلاسة إلى القارئ، والتأكيد على الفكرة بشتى الوسائل، وكأنه يريد أن يرصد مواطن الخلل في المجتمع، دون التنازل عن البعد الفني.
- أفرزت قصة (الشهداء يعودون هذا الاسبوع) نظرة عميقة إلى فكرة النضال، وكيف يمكن أن يتحول إلى خيانة للوطن.. وكيف يتسلق النفعيون على أكتاف الثورة والشهداء؛ بل يمكن لهؤلاء أن يقتلوا الشهداء جميعاً لو عادوا إلى الحياة مرة أخرى، لأن الشهداء هم الشهود على الحقيقة.
- إن الصراع بين الطبقات يتجلى بين جبهتين جبهة الشهداء، وجبهة الانتهازيين، فكان المنهج السيميائي هو الأقدر على فضح خبايا هذا الصراع.
- إنَّ اعتماد مربع كريماس في تحليل القصة أثبت فاعلية مدرسة باريس السيميائية في ملاحقة عناصر السرد، واستخلاص طبيعة التضاد والتناقض .

هوامش البحث:

- (1) الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، الدكتورة نور سلمان. دار العلم للملايين بيروت. الطبعة الاولى 1981: 25-26 (ينظر :تأريخ الجزائر المعاصر- دراسات ووثائق د. محمد الأمين بلغيث. البصائر الجديدة للنشر والتوزيع . الجزائر -الطبعة الرابعة 2014: 8)
- (3) ينظر : تأريخ الأدب الجزائري. محمد الطمار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر دت : 259-260.
- (4) ينظر:المصدر نفسه:263.
- (5) ينظر:المصدر نفسه:263.

- (6) ينظر: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الطيب ولد العروسي، دار الحكمة للنشر – الجزائر 2009: 163.
- (7) ينظر: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، د. محمد منور، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 2007: 91-92.
- (8) المصدر نفسه: 94.
- (9) المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، د. عبدالعزيز شرف، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى 1991: 47.
- (10) تأريخ الجزائر المعاصر – دراسات ووثائق: 198-199.
- (11) مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية، مخلوف عامر – منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا 1998: 10.
- (12) أعلام من الأدب الجزائري الحديث: 17.
- (13) ينظر: المصدر نفسه: 81.
- (14) ينظر: المصدر نفسه: 155.
- (15) الرواية العربية، النشأة والتحول، د. محسن جاسم الموسوي، منشورات دار الأدب – بيروت، الطبعة الثانية – 1988: 11.
- (16) ينظر: نظام الشخصية في روايات الطاهر وطار – البناء والدلالة، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة جيلالي ليايس – سيد بلعباس – الجزائر للباحثة طيبون فريال: 5.
- (17) المصدر نفسه: 35.
- (18) النثر الجزائري الحديث، د. محمد مصايف، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1983: 58.
- (19) ينظر: الشهداء يعودون هذا الاسبوع، الطاهر وطار – منشورات وزارة الاعلام – الجمهورية العراقية 1974.
- (20) ينظر: المصدر نفسه: 117-148.
- (21) النثر الجزائري الحديث: 39.
- (22) المصدر نفسه: 38.
- (23) مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية: 62.
- (24) ينظر: المصدر نفسه: 62.
- (25) البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية – سوريا، الطبعة الأولى 1994: 71.
- (26) ينظر: الشهداء يعودون هذا الاسبوع: 125.
- (27) النثر الجزائري الحديث: 10.
- (28) تفكرات سيميائية – آليات انتاج الدلالة والمعنى، د. قاسم المقداد، دار نور الصباح – سوريا 2014: 70.
- (29) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تأليف: جوزيف كورتيس، ترجمة د. جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف – الجزائر الطبعة الأولى 2007: 27.
- (30) العلاماتية وعلم النص، إعداد وترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب 2004: 93.
- (31) النص السردى – نحو سيميائيات للأيديولوجيا – سعيد بنكراد، دار الأمان، الرباط الطبعة الأولى 1996: 110.
- (32) مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية: 25.
- (33) ينظر: المصدر نفسه: 90.
- (34) سيميائية السرد – بحث في الوجود المتجانس د. محمد الداوي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة – الطبعة الأولى 2008: 32.
- (35) ينظر: المصدر نفسه: 35.

- (36) المصدر نفسه: 36.
- (37) دينامية النص- تنظير وانجاز ، د.محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي- بيروت الطبعة الثانية 1990: 12.
- (38) اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية د.آراء عابد الجرمانى منشورات ضفاف ، بيروت- لبنان –منشورات الاختلاف – الجزائر الطبعة الاولى 2012: 104.
- (39) النثر الجزائري الحديث : 18.
- (40) مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية: 65.
- (41) المصدر نفسه: 66.
- (42) النثر الجزائري الحديث: 36.
- (43) المصدر نفسه: 10.
- (44) السيميائيات – الاصول ، القواعد، والتاريخ، ترجمة رشيد بن مالك ،مراجعة وتقديم عز الدين المناصرة، دار مجدلوي للنشر والتوزيع ، عمان-الاردن الطبعة الاولى 2008: 242.
- (45) أساليب السرد في الرواية العربية د.صلاح فضل- مركز الانماء الحضاري- حلب 2009: 144.
- المصادر والمراجع:**
- الأدب الجزائري باللسان الفرنسي ، د.محمد منور، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر 2007
- الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، الدكتور نور سلمان. دار العلم للملايين بيروت. الطبعة الاولى 1980.
- أعلام من الأدب الجزائري الحديث، الطيب ولد العروسي، دار الحكمة للنشر –الجزائر 2009.
- إتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية د.آراء عابد الجرمانى منشورات ضفاف ، بيروت- لبنان – منشورات الاختلاف –الجزائر الطبعة الاولى 2012.
- البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار للنشر والتوزيع اللاذقية - سوريا ، الطبعة الاولى 1994.
- دينامية النص- تنظير وانجاز ، د.محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي- بيروت الطبعة الثانية 1990.
- مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية ، تأليف: جوزيف كورتيس، ترجمة د.جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف – الجزائر الطبعة ،الاولى 2007.
- مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية ، مخلوف عامر-من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق- سوريا 1998.
- المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ،د. عبد العزيز شرف، دار الجيل –بيروت ، الطبعة الاولى 1991.
- النص السردى – نحو سيميائيات للايديولوجيا – سعيد بنكراد، دار الأمان ، الرباط الطبعة الاولى 1996.
- النثر الجزائري الحديث ، د.محمد مصايف ، المؤسسة الوطنية للكتاب –الجزائر 1983.
- نظام الشخصية في روايات الطاهر وطار – البناء والدلالة، اطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة جيلالي لباس- سيد بلعباس- الجزائر للباحثة طيبون فريال.

- سيميائية السرد – بحث في الوجود المتجانس د.محمد الداوي ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة – الطبعة الاولى 2008
- العلاماتية وعلم النص ، إعداد وترجمة منذر عياشي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء – المغرب. الطبعة الاولى 2004.
- الرواية العربية ، النشأة والتحول، د.محسن جاسم الموسوي، منشورات دار الأدب – بيروت ، الطبعة الثانية -1988.
- الشهداء يعودون هذا الاسبوع، الطاهر وطار- منشورات وزارة الاعلام- الجمهورية العراقية 1974.
- تاريخ الجزائر المعاصر- دراسات ووثائق د. محمد الأمين بلغيث .البصائر الجديدة للنشر والتوزيع . الجزائر الطبعة الرابعة 2014.
- تأريخ الأدب الجزائري. محمد الطمار- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر د.ت.
- تفكرات سيميائية – آليات انتاج الدلالة والمعنى ، د.قاسم المقداد ، دار نور الصباح – سوريا 2014.

Sources and References:

- Algerian Literature in the French Language, Dr. Muhammad Munawwar, Office of University Publications – Algeria 2007.
- Algerian literature in the realm of rejection and liberation, Dr. Nour Salman. Dar Al-Ilm Lil-Millain, Beirut. First edition 1980.
- Icons of Modern Algerian Literature, Tayeb Ould Laroussi, Dar Al-Hikma Publishing - Algeria 2009.
- Trends in semiotic criticism of the Arabic novel, Dr. Opinions of Abed Al-Jarmani, Difaf Publications, Beirut - Lebanon - Difference Publications - Algeria, first edition 2012.
- The Beginning in the Novel Text, Saduq Nour al-Din, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Lattakia - Syria, first edition 1994.
- Text Dynamics - Theorizing and Achievement, Dr. Muhammad Muftah, Arab Cultural Center - Beirut, second edition 1990.
- An Introduction to Narrative and Discursive Semiotics, written by: Joseph Curtis, translated by Dr. Jamal Hadri, Arab House of Science Publishers, Beirut, Al-Kifala Publications - Algeria, first edition, 2007.
- Manifestations of Innovation in the Algerian Short Story, Makhlouf Amer - Publications of the Arab Writers Union, Damascus - Syria 1998.
- Resistance in contemporary Algerian literature, Dr. Abdul Aziz Sharaf, Dar Al-Jeel - Beirut, first edition 1991
- The Narrative Text - Towards a Semiotics of Ideology - Said Benkarad, Dar Al-Aman, Rabat, first edition 1996.
- Modern Algerian Prose, Dr. Mohamed Mousayef, National Book Foundation - Algeria 1983

- The character system in the novels of Taher Wattar - Structure and Connotation, a doctoral thesis submitted to Djilali Liabes University - Sid Bel Abbes - Algeria by researcher Tayboun Faryal.
- Narrative Semiotics - A Study of Homogeneous Existence by Dr. Muhammad Al-Dahi, Vision for Publishing and Distribution, Cairo - First Edition 2008
- Semantics and textual science, prepared and translated by Munther Ayyashi. Arab Cultural Center. Casablanca - Morocco. First edition 2004.
- The Arabic Novel, Genesis and Transformation, Dr. Mohsen Jassim Al-Musawi, Dar Al-Adab Publications - Beirut, second edition - 1988.
- The Martyrs Return This Week, Al-Taher Wattar - Publications of the Ministry of Information - Republic of Iraq 1974.
- Contemporary history of Algeria - studies and documents by Dr. Muhammad Al-Amin Balghaith. New Insights for Publishing and Distribution. Algeria, fourth edition 2014.
- History of Algerian literature. Muhammad Al-Tamar - National Publishing and Distribution Company - Algeria D.T.
- Semiotic Reflections - Mechanisms of Producing Connotation and Meaning, Dr. Qasim Al-Miqdad, Dar Nour Al-Sabah - Syria 2014.

**The semiotics of struggle in the story (The Martyrs Return This Week)
by the Algerian writer Taher Wattar**

Abstract:

Al-Tahir wattar represents one of the most important figures in Algerian and Arabic narration. He took the responsibility upon himself to shed light on dangerous areas in the political, cultural and social life, he was devoted to the leftist thought which he embraced and it was clear in most of his writings.

“The Martyrs Return This Week” is considered one of the most important narration products by the writer that cannot be over sighted in the writer’s career, because it dealt with an important subject in regard to the deviation of the revolution by the beneficiaries and the people in control.

When the story was analyzed according to the efforts of the semiotic school of Paris and depending on Greimas’s semiotic square, it becomes clear that the case represents a struggle between two contradictories on the other, and the struggle of conflict and surrender resulted in a semantic shift that can be observed by the rise of one opposite on the other, which can indicate that the revolution cannot end, it must be kept going, so it can treat itself continuously.